تاريخ الإرسال: 2014/02/22 - تاريخ القبول للنشر: 2014/05/25 تاريخ النشر: 2014/06/29

الأبعاد الاجتماعية و النفسية للتحصيل الدراسي

سحوان عطاء الله

جامعة الجلفة

مقدمة :

إن مفهوم التحصيل الدراسي من المفاهيم كثيرة الاستعمال في علم الاجتماع وعلوم التربية فهو يعني على وجه العموم النتيجة أو النتائج المحصل عليها بعد الامتحانات وغالبا ما يكون هذا المعنى منطويا على متغيرات أخرى هي : النجاح، التفوق، التخلف، الرسوب، والتحصيل الدراسي يتأثر بعدة عوامل منها العوامل الداخلية (العوامل الصحية ، الذكاء) والعوامل الخارجية (الأسرة ،المدرسة).

1- عوامل التحصيل الدراسي:

1-1- العوامل الصحية :

إن الصحة البدنية للطلبة المتمدرسين لها دور كبير في ميدان التحصيل الدراسي فالإصابة بالأمراض ذات الأصل الميكروبي كالتهاب السحايا والأمراض ذات الأصل الفيزيائي كحادث سيارة يمس الجهاز العصبي آو الأمراض ذات الأصل البيولوجي كالأمراض الوراثية كذلك تنعكس نتائجه السلبية على التحصيل الدراسي للأبناء لذلك كان من الواجب إجراء كل التلقيحات للتلاميذ في أوقاتها المناسبة، كما لا ننسى ان سوء التغذية له دور سليب ينعكس على المردود التعليمي للمتمدرسين «فالطعام هو المدخل الطبيعي الأول لنمو الذكاء لدى الأطفال، فقد حظيت محتويات الطعام والفيتامينات والعناصر الدقيقة باهتمام أكثر من 100 عالم ومتخصص بالتغذية في ندوة عنوانها (الإتاحة الحيوية للعناصر الدقيقة)، وتعني استفادة الجسم بالفيتامينات والتغذية ، وتوصلوا إلى أن الجسم وقوته تتم بتناوله وجبة غذائية متكاملة.»1

والوجبة الغذائية المتكاملة التي يستفيد منها الجسم ويأخذ الطاقة التي تساعده على العمل يجب أن تحتوي على مختلف العناصر الأساسية التي تحتاجها العمليات الأيضية وأهمها الأملاح المعدنية والفيتامينات والسكريات والدهنيات والبروتينات، «إن سوء التغذية هو سبب ضعف القدرة على التركيز والتذكر وبالتالي فهو احد الأسباب الرئيسية في وقوع الطفل تحت وطأة صعوبات التعلم ، ومن ثم تأخر نمو الذكاء عند الطفل ، مرتبط بضعف البنية حيث أن ضعف البنية لدى الطفل وعدم اكتمال عناصر الطاقة في بدنه ، إضافة إلى عدم اهتمام باحتياجات كل مرحلة سنية بالغذاء السليم هو محور مهم في خلق صعوبة التعلم لدى الطفل وعدم تركيزه وتذكره واستيعابه ، فالأمر إذا لا ينصب فقط على حشو المقررات الدراسية أو طول المناهج وقصر العام الدراسي ، بل هي عدة عناصر في هذه القضية الشائكة «2.

«إن الأسر ذات الدخل المحدود غالبا ما تعاني من سلسلة من المشاكل الصحية ليت يمكن ان نذكر منها وعلى سبيل المثال فقط، الضعف الجسمي الناتج عن الولادة الهزيلة وسوء التغذية ومن شان هذه المشاكل الأضرار بالوضعية التربوية لأطفالها في الكثير من الأحيان ، وقد قادت إحدى دراسات الحكومية التي أجريت في بريطانيا سنة 1976، أصحابها إلى نتيجة التالية « إن هناك أدلة قوية على أن الظروف الاجتماعية والأسرية السيئة يمكن ان تعيق النمو الجسمي والانفعالي والذهني كما يمكن أن تؤثر وبطريقة سلبية على التحصيل المدرسي وعلى السلوك الشخصي «3 .

إن الأمراض التي تصيب الأطفال المتمدرسين سواء كانت ناتجة عن عوامل وراثية كالإعاقات الذهنية والصمم والبكم والناتجة عن عوامل خارجية كالأمراض الميكروبية والإعاقات الفيزيائية كلها تعتبر عوائق تعيق المتمدرسين عن التحصيل الدراسي الجيد و لا ننسى أيضا الأمراض المرتبطة بالوضع الاجتماعي (الفقر، سوء التغذية) ،هذه كلها تنتج أمراضا تسمى أمراض الفقر مثل السل وغيرها وكلها لها انعكاسات سلبية على التحصيل الدراسي علاوة على ذلك فان الصحة الجيدة والتغذية والمتكاملة لها تأثير ايجابي على نتائج التحصيل الدراسي للطلبة المتمدرسين.

«أثبتت دراسة (تريمان) التتبعية أن التكوين الجسمي والحالة الصحية العامة ومعدل النمو العضلي أفضل عند المتفوقين منه عند العاديين، وتؤكد الاختبارات الخاصة بالسلالات البشرية و باللياقة البدنية ، ذلك بعد أن كان السائد أن العكس هو الصحيح « 4، يعتبر المرض هو أحد هذه العوامل فسوء الحالة الصحية و سوء التغذية يعرقلا أداء البدن لوظائفه و يجعل الطفل عاجزا عن القيام بالجهد اللازم في دراسته أو عمله «5

2-1 العوامل الوراثية :

تعتبر العوامل الوراثية ذات أثر واضح على الصحة العقلية و القدرات الفيزيولوجية للجسم لدى الأطفال على وجه العموم.» و في بحث للدكتور (عزت راجح) يتبين لنا لأن الطالب لا يرجى له النجاح في الدراسة ثانية إن كان ذكاؤه دون المتوسط ، و لا يرجى نجاحه في الدراسة الجامعية إن لم يكن ذكاؤه فوق المتوسط ، كما أن النجاح في بعض الكليات يتطلب مستوى من الذكاء أعلى من النجاح في كليات أخرى «6.

و عليه فإن هناك علاقة وطيدة بين النجاح المدرسي و درجة الذكاء عند الطلبة المتمدرسين ، فكلما زاد ذكاء الفرد كلما زاد تحصيله الدراسي ، و قبل ان نناقش العلاقة الموجودة بين الذكاء و نتائج التحصيل الدراسي يجب ان نشير أن مفهوم الذكاء الذي نتكلم عنه يعني نسبة الذكاء (درجة الذكاء) و لا يعني شيئا آخر أو دلالة أخرى و ذلك لثلاثة أسباب هي : « فالسبب الأول يتمثل في أن الذكاء مفهوم مجرد و غامض إلى حد ما الشيء الذي يعني أن التعامل المباشر معه ليس بالأمر الهين دائما، أما السبب الثاني فيكمن في كثرة ما قيل و ما يقال عن طبيعة هذا المفهوم ، فاللجوء إلى استعماله قد يقود في النهاية إلى نقاشات طويلة لا جدوى من ورائها ، أما السبب الثالث و الاخير فيرجع إلى أن نسبة الذكاء تبقى رغم قصورها و ما تتميز به من عيوب أكثر المقاييس صدقا و أكثرها ثباتا و دلالة على أداء الفكر الحالي «7

فسبب اعتمادنا لمقياس الذكاء يرجع إلى ثباته في أكثر التجارب و أغلبها و هو الذي يجعله أرجح المقاييس و أوثقها.

« فاللجوء إذن إلى استعمال نسبة الذكاء هو السبيل الوحيد أمامنا للتعامل مع هذا الأخير كما انه الطريق الوحيد الذي يمكننا من معرفة مدى تأثير هذه القدرة على التحصيل الدراسي ويبدو بالإضافة إلى كل هذا، أن حاصل

الذكاء كما تقيسه المقاييس المتخصصة يمتلك قدرة عالية في مجال التنبؤ بالانجاز التربوي وذلك هو ما يصرح به (راتر ومادج) حينما يقولان بان دراسات عديدة قد أثبتت أن اختبارات الذكاء الجيدة تستطيع ذلك –الكشف عن كيفية استجابة الأطفال لنماذج معينة من التعليم والتنبؤ بانجازهم المدرسي «8.

وهذا يبين أن الذكاء يعتبر احد المقاييس الأساسية في مجال التحصيل الدراسي والتنبؤ بالانجازات التربوية والمدرسية للتلاميذ المتمدرسين وهذا ما أشار إليه الكثير من الباحثين والدارسين لعلاقة الذكاء بالانجاز المدرسي والتحصيل الدراسي للتلاميذ «ويعد فرنسيس جالتون من ابرز العلماء الذين بحثوا في اختبارات الذكاء، وعلاقة الذكاء بالوراثة ، فقد كان جالتون يعتقد في وجود علاقة ارتباطية بين الذكاء و حدة الحواس الوظيفية ، مثل حواس السمع والرؤية واللمس والشم و زمن رد الفعل ، ولهذا اشتملت دراساته للذكاء على اختبارات لقياس حدة الحواس ، وفي ضوء تأثر جالتون بنظرية داروين في التطور و أصل الأنواع استنتج أن القدرة الحسية عند شخص ما – أي الذكاء – تعود إلى عامل وراثي وعملية اصطفاء طبيعي طبقا لقانون البقاء للأصلح و الأصفى والأذكى»9.

بمعنى أن العوامل البيولوجية لها تأثير حقيقي وفعلي على السلوكات الايجابية للأفراد كما أن لها ارتباط بفعالية الحواس ووظيفتها وحدتها .

وقد تأكدت له أن سيطرة العامل الوراثي للذكاء من خلال دراسته وملاحظاته والتي جاءت في كتابه (العبقرية والوراثية أو وراثة العبقرية) وفي ضوء ما تقم قرر جالتون عام 1869 « أن الأشخاص المتميزين والمتفوقين ينحدرون من أجيال متعاقبة لعائلات متميزة موهوبة «10.

ويتفق علماء النفس حول مسالة وجود ارتباط قوي بين الذكاء والتحصيل الدراسي وهذا الارتباط هو الذي يشير إليه (فاخر عاقل) عندما يقول :» وأيا ما كان فان مفهوم الذكاء يتصل اتصالا وثيقا بالقدرة على التعلم ، وكل روائز الذكاء من متاهات أو لعب معضلة أو روائز لفظية تروز التعلم أثناء حصوله ، وهكذا يكون معيار الذكاء و السرعة في التعلم والدقة فيه»11.

وهذا الارتباط هو الذي يشير إليه (باتشر) في قوله :» لاشك أن الذكاء يرتبط بالانجاز الدراسي العالي»12. ويشير (بوفي 1980) إلى « إن معظم الدراسات البريطانية التي تمت في السبعينات كانت تعتمد على معامل الذكاء كمحك للتعرف على المتفوقين ، وكانت النسبة المعتمدة تتراوح ما بين 140–130 نقطة ذكاء على اختبار ذكاء فردي 13.

والشواهد التي تؤكد دور العوامل الوراثية في التفوق العقلي والموهبة كثيرة ومتعددة فمثلا ينقل (وطفة) عن (دوشلان) ما ذكره من « إن الاختلافات الفردية في مستويات التفوق العقلي تعود بشكل أكيد إلى العوامل الوراثية والتي يبرز تأثيرها بشكل خاص في قابلية الفرد للتعلم»14 .

وعلى هذا الأساس يعتبر الذكاء من أهم العوامل المساعدة على التعلم و التحصيل الدراسي الجيد كما يعتبر وفقا للدراسات العلمية التي تابعت العلاقة الموجودة بين الذكاء والتحصيل الدراسي مقياسا أساسيا في هذا الميدان إلا انه لا يلغي أهمية المقاييس الأخرى الموجودة في مجال التحصيل الدراسي .

« واليقين هذا أو شبه اليقين ينبع في حقيقة الأمر مما اجري من أبحاث ودراسات في هذا الميدان ، فهذا (فرناند 1959) على سبيل المثال لا يتوانى عن التصريح بان درجة الارتباط الكائنة ما بين التحصيل الدراسي في مادتي اللغة الانجليزية والحساب واختبارات الذكاء تصل إلى 0’8»15.

أما تايلور فيؤكد من جانبه بان « هذا الارتباط يتراوح ما بين 0’30 و 0’80 «16 ، والى هذه النتيجة يشير كثير من الباحثين في هذا المجال إلى نتائج تقرب من النتيجة التي أشار إليها تايلور ، حيث يذكر (كانجر و بيترسون) :» أن معامل الارتباط الذي نتحدث عنه غالبا ما يتواجد بين 0’50 و 0’70 و 0’75 «17 .

«تشير الدراسات أن السيادة الوراثية لجينات الذكاء تلعب دورا في توريث الذكاء ، فإذا تزوج رجل ذكي بامرأة ذكية وكانت صفة الذكاء سائدة فإن أولادهم يخرجون أذكياء مثلهم مع بعض الفروق ، وهكذا بالنسبة لمتوسطي الذكاء أو الأغبياء ...»18.

« قدم جالتون نظرية في الذكاء من خلال دراساته للفروق الفردية ، حيث لاحظ ان المشاهير والعباقرة ينحدرون من سلالات نعروفة ، وألف كتابه المشهور (العبقرية الموروثة) عام 1869 والذي يبرز فيه موقفه من قضية الوراثة والبيئة ويؤكد أهمية العامل الوراثي «19.

3-1- العوامل الأسرية :

إن المناخ الاجتماعي الأسري له دور بالغ في التنشئة الاجتماعية للأبناء مما ينعكس ذلك على نمو الشخصية بكيفيات متباينة وهذا ينعكس بدوره على النمو السليب أو الايجابي على القدرات العقلية للأبناء ويظهر ذلك بعد دخولهم إلى المدرسة وتنكشف هذه النتائج بمحك التحصيل الدراسي والقدرة على التعلم وهذا ما أثبتته الدراسات النفسية والاجتماعية وفي هذا الميدان .

«ومما يؤكد أهمية العناية بثقافة الأسرة ورفع مستواها ذلك الدور البارز الذي تلعبه في معدل نمو الأطفال من الناحية العقلية وهذا ما أشارت إليه الدراسات التي قام بها (دوغلاس 1964) والتي شملت خمسة ألاف طفل من انجلترا وسكوتلاندا وويلز وكانت هذه الدراسة تهدف إلى معرفة دور الأسرة في إنماء القدرات العقلية ، وقد توصل بنتيجة هذه الدراسة إلى أن لنوعية الاهتمام الأبوي في تربية الطفل تأثيرا اكبر بأربع مرات من تاثير المدرسة في تحسين الدرجات التي يحصل عليها الاطفال في اختبارات الذكاء»20.

وهذا يشير الى ان المناخ الاجتماعي الاسري له انعكاس كبير وتأثير واضح على التنشئة الاجتماعية للأبناء سلبا وإيجابا ،هذه التنشئة الاجتماعية تنعكس أثارها على القدرات العقلية للأبناء سلبا وإيجابا، ويظهر هذا جليا في نتائج التحصيل الدراسي للأبناء المتمدرسين ، فكلما كان المناخ الاجتماعي الأسري قائما على الحوار والتعاون والاستقلالية والتسامح وتبادل المعلومات كلما كان له تأثير ايجابي على الانجازات المدرسية ، وعلى العكس من ذلك كلما كان المناخ الاجتماعي الأسري قائما على الصراع والخصومات كان له اثر سلبي على الانجازات المدرسية للأبناء المتمدرسين .

« وعزز هذه النتيجة ما توصل إليه (مور 1968) حيث وجد ارتباطا يبين البيئة المنزلية لأطفال عمرهم سنتان ونصف وبين درجات ذكاءهم في عمر الثالثة وفي عمر الثامنة ، وقد كان لنوع التفاعل اللغوي بين الآباء والأبناء ونوع الألعاب التي تقدم للطفل والكتب ودور كبير في ذلك ، ولقد أثبتت الدراسات المختلفة ان تأثير الأسرة على نمو الطفل العقلي ترتبط بعاملين أساسين ، وهما المستوى الثقافي للأسرة وأساليب ومعاملة الوالدين للأبناء «21.

« تستمر الأسرة في تعاونها مع المدرسة وتستمر في أداء مسؤولياتها نحو الأطفال وتحاول جاهدة تهيئة أفضل الظروف وأحسنها حتى تتمكن المدرسة من أداء وظائفها واستكمال عملية التنشئة والاجتماعية «22.

«ويلعب حجم الأسرة هو الآخر دورا لا يستهان به في مجال التحصيل الدراسي للأطفال المنتمين إلى الأسر ذوات الحجم الكبير غالبا ما يكون انجازهم اقل مستوى من انجاز نظرائهم المنحدرين من الأسر المحدودة العدد ومن بين هذه الدراسات يمكن أن نذكر الدراسة التي قام بها اناستازي 1956 و دوغلاس 1964 و دافي 1972 وقد استطاع الباحثون بجانب ذلك أن يلاحظوا أن أطفال الأسر كبيرة الحجم كثيرا ما كانوا يضطرون لمغادرة مقاعد الدراسة قبل غيرهم من التلاميذ المنتمين للأسر يقل عدد أفرادهم «23.

كثيرا من الدراسات الاجتماعية والتربوية تؤكد أن العوامل الاجتماعية الأسرية لها تأثير كبير على التحصيل الدراسي للأبناء ، فالمستوى الاقتصادي له تأثير على نتائج التمدرس للأبناء كما أن المستوى التعليمي واللغوي للأولياء (الوالدين) له انعكاس على نتائج الانجاز المدرسي للأبناء إضافة إلى ذلك فان العلاقات الوالدية لها تأثير على نتائج التحصيل الدراسي للأبناء المتمدرسين .

« إن الأسرة في عملية التفاعل الاجتماعي، تتأثر إضافة إلى الجو العاطفي وعلاقة الأهل فيما بينهم وفيما بين الأولاد بعوامل عدة ، فالوضع الاجتماعي والمستوى الثقافي ونوع مهنة الأبوين وحجم الأسرة للطفل وفيها نصيب يتلقى نتائجها، ويعاني من سلبياتها ويتحفز بايجابياتها 24.

و هكذا فإننا نجد أن المناخ الأسري بكل حيثياته يؤثر على الأطفال أيجابا و سلبا و هذا ما ينعكس بعد ذلك على نتائج التحصيل الدراسي .

« لقد أوضحت نتائج العديد من الدراسات أن الكثير من المتفوقين في التحصيل الدراسي قد تعلموا القراءة في الأسرة، بجهدهم وهم لا يزالون في الحضانة وقبل دخولهم المدرسة ، وان المناخ الأسري كان أميل إلى الغنى والوفرة في المؤثرات التربوية والثقافية وأميل إلى الاستقرار في المناخ العام العاطفي والاجتماعي والى حسن المعاملة بين الوالدين والأولاد»25.

4-1- العوامل المدرسية:

لقد شهدت العقود الأخيرة اهتماما ملحوظا ومتزايدا من قبل الباحثين ، بموضوع التأثيرات التي يمكن أن يلحقها التمدرس بعملية التحصيل الدراسي ، ومع ذلك فمن غير الممكن الخروج من كل ذلك بنتائج مقنعة وجازمة حول هذا الموضوع ، وقد يكون الاستثناء الوحيد في هذا المجال ، متمثلا في أن الخصائص المدرسية المختلفة تؤدي إلى نتائج تحصيلية مختلفة ، أما في ما عدا ذلك من الأمور فإنه من الصعب الوصول إلى نتائج بإمكانها استقطاب إجماع الباحثين والتفاهم حولها .

«من هنا يتبين اثر التربية أو العامل المدرسي ، بشكل عام في تشكيل خصائص الفرد وفي كيفية استغلال النواحي الايجابية فيه والتي تؤثر بدورها في المستوى طموحه»26 .

« إن المؤكد أن احتمال نجاح الأطفال يزيد ويتحدد كلما انتسبوا لأنواع محددة من المدارس ، دون غيرها وهذا ما توحي به عدة بحوث يمكن أن نذكر من بينها ذلك الذي قام به روتر، والذي توصل من خلاله إلى نسبة الصعوبات القرائية كانت أعلى بين التلاميذ الذين يترددون على المدارس الابتدائية التي تتسم بعدم استقرار السلك التعليمي فيها ، وعلى تلك توزع الواجبات المدرسية «. 27

لقد قام الباحثان (بارنز وليكاس) بدراسات للمقارنة بين التلاميذ الذين ينتسبون إلى المدارس المحظية (المدارس

التي تحتضن أبناء الأغنياء) والتلاميذ الذين ينتسبون للمؤسسات التعليمية المحرومة، فتوصلا من خلال هذه الدراسات إلى نتيجة تؤكد أن هناك علاقة بين الخصائص المدرسية والانجازات التحصيلية للأبناء المتمدرسين ، وعلى هذا الأساس فقد أصبح للمدرسة الحديثة دور مؤثر في ميدان التنشئة الاجتماعية حيث تقوم المدرسة بتمرير ثقافة المجتمع نحو الأبناء المتمدرسين في صورة علمية كما تجمع الخبرات المتراكمة والمعارف والمعلومات وتنقلها إلى أذهان المتعلمين .

« إن المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية الثانية التي تتولى تنشئة الطفل، وتربيته بصورة منهجية، لذلك فإن لها دورا بارزا في رعاية التفوق العقلي أو إخماد جذوته، ويؤكد سبيرنجر و يوزنبرغ (1968)إلى أن المناخ المدرسي الذي يتسم بالحرية والتسامح والاحترام والديمقراطية والعدالة هو الذي يسمح بنمو القدرات الابتكارية عند الطفل ، وعزز هذه النتيجة هادون ولايتون (1968) حيث توصلا إلى أن تلاميذ المدارس الابتدائية الخاصة التي تطبق نظاما يتسم بالتسامح كانوا أعلى بشكل دال في قدرات التفكير المنطلق من أقرانهم الذين يدرسون في مدارس تقليدية «.28

«ولهذا أصبح للمدرسة الحديثة دور مؤثر وفعال في عملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها المؤسسة التي تتلخص فيها الخبرات المتراكمة لهذا المجتمع وباستطاعتها القيام بهذه الوظيفة الهامة التي تنقل إلى أذهان وعقول التلاميذ جميع ما اكتسبته من معارف وخبرات»29

إن المدرسة تمثل مركز الإبداع وتفجير الطاقات البشرية في مجال التعلم والتفكير والتحليل، فالطرق التي يتلقاها المتمدرسون في مجال التفكير بمختلف أنواعه والتعلم والتدريب في مجالات التحليل والتركيب تجعلهم يحققون التنمية البشرية الحقيقية .

«إذا كانت الطبيعة البشرية تملك طاقات وإمكانات واستعدادات هائلة ، وإذا ما أتيحت لها فرص النمو فإنها تفجر محققة إبداعات خلاقة واستثمارات هائلة في العالم الطبيعي والعالم الاجتماعي من حولها ، فان على المدرسة قبل غيرها أن تكون مكانا لهذه الفرص ، وميدانا لهذه التفجرات «30

2- الوظائف الاجتماعية للأسرة وعلاقتها بالتحصيل الدراسي

الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى التي يرتكز عليها النسق الاجتماعي العام ويبنى فالتفاعلات الاجتماعية الدائمة داخل الأسرة تمثل الحياة الطبيعية لها ، وقد تكون هذه التفاعلات الاجتماعية ايجابية فتحقق الاستقرار الأسري وقد تكون سلبية فتحقق التفكك الأسري ، وبالرغم من كل ذلك فان الأسرة تعمل في النهاية من اجل تحقيق وظائف اجتماعية متعددة من اجل استمرارية حياتها الاجتماعية واهم هذه الوظائف الاجتماعية ، الوظيفة الاقتصادية ، الوظيفة التربوية ، الوظيفة التعليمية ،الوظيفة الصحية .

1-2- الوظيفة الاقتصادية:

تعتبر الوظيفة الاقتصادية للأسرة وظيفة أساسية وحيوية من اجل الحفاظ على الاستقرار الأسري وحمايته من الانهيار أما التغيرات الاجتماعية الخارجية ، وهذه الوظيفة يتفاوت تأثيرها حسب التراتب الاجتماعي للأسر ، فالأسرة الارستقراطية يمكنها أن تلبي حاجيات أبنائها وتزيدهم على درجة الاتباع بين الأسر المتوسطة الدخل فإنها تلبي حاجيات أبنائها بدرجة محدودة ، إذا الأسر ذات الدخل الضعيف لا تستطيع أن تلبي حاجيات أبنائها وبالتالي قد تظهر في كثير من الأحيان أعراض اجتماعية مرضية مثل : التسرب المدرسي وانحراف الأحداث ولذلك

يقول الباحثان الاجتماعيان (جون بيار بورتوا و بول دورنينجر):»من الواضح أن وظائف العائلة تختلف صراحة حسب الطبقة الاجتماعية المنتمي إليها «31

كما لا ننسى أن التحولات الاجتماعية التي تعيشها المجتمعات من النظام الاشتراكي إلى الرأسمالي وما يصحب ذلك من تسريح للعمال، وارتفاع في الأسعار له دور بالغ في التأثير على الوظيفة الاقتصادية للأسرة، وبالتالي التأثير على بقية الوظائف الاجتماعية، ويقول الدكتور محمد يسري إبراهيم « الظروف الاقتصادية الصعبة نتيجة غلاء السعار وعدم تناسب الدخول مع متطلبات الحياة مع العمل لأطول فترة على حساب وقت الفراغ، هنا أصبح وقت الفرد كله إما في العمل او يقضي معظم وقته المتبقي من اليوم في النوم لاستكمال مرحلة الشقاء من جديد في صباح اليوم التالي، فقد الأب والأم متعة الإقبال على الحياة واستبدالها بالجمود والاستبسال والكفاح لتوفير المتطلبات الضرورية للحياة للأبناء على حساب المعاني والقيم الجمالية والفنية والثقافية والاجتماعية وعلاقات التواصل و التراحم والتزاور وعلى حساب الرحلات وقضاء وقت الترويح وفي المنتزهات»32

ومنه فالمستوى الاقتصادي للأسرة ينعكس سلبا أو إيجابا على الوظائف الاجتماعية للأسرة خاصة الوظيفة التربوية والوظيفة التعليمية والوظيفة الصحية ، يقول مرسي منير السرحان:»الوضع الاقتصادي للأسرة يؤثر في تنشئة الأطفال وتربيتهم، الحياة السهلة الرغدة تفي بالحاجات اللازمة من مأكل وملبس واستمتاع بمتع الحياة المختلفة ومنها المتعة العلمية والتكنولوجيا عن طريق توفير الأجهزة كالتلفزيون والراديو الثلاجة وغيرها ، وكذلك اللعب المختلفة والسلع مما يثري الحياة العقلية والنفسية والاجتماعية والأسرية ، بينما تسبب الحياة القاسية الناتجة عن الفقر وعسر العيش في وجود الإحساس بالحرمان وما يترتب عليه من أنواع الحقد والكراهية والعزلة الاجتماعية 33»

ويقول أيضا الدكتور محمود حسن:»إذا تأثرت بعض المستويات المادية التي تعتبرها الأسرة ذات أهمية في حياتها كانت نتيجة تدهور أهمية العلاقات الأسرية وتفكك العلاقات التي تربط أعضائها في حالة الدخل وانخفاضه بدرجة خطيرة «34

2-2- الوظيفة التربوية:

لا تزال الأسرة تعتبر المؤسسة الاجتماعية الأساسية في مجال التنشئة الاجتماعية للأبناء فهي المسؤولة عن إعادة الإنتاج الاجتماعي للأفراد بعد الإنتاج الجسدي لهم وبالتالي فالأسرة تعمل على ترسيخ القيم والعادات والمبادئ والتقاليد وقواعد الدين والعرف وأدب السلوك عند أفراد الأسرة .

السلوكات الاجتماعية والثقافة الراسخة والقيم والمبادئ التي تحكم العلاقات الاجتماعية السائدة بين الآباء و الأبناء وكذا أنواع النشاطات الثقافية والترفيهية التي يمارسها الآباء كلها تؤثر في النهاية في التنشئة الاجتماعية للأبناء، فطبيعة العلاقات الأسرية بين الوالدين، والعلاقات الوالدية بين الآباء والأبناء لها بالغ الأثر على التنشئة الاجتماعية للأبناء المتمدرسين مما ينعكس على نمو القدرات العقلية للأبناء سلبا وإيجابا وهذا ينعكس أيضا على نتائج التحصيل الدراسي للأبناء سلبا وإيجابا ، فالتمثلات عند الأبناء التي يتلقونها في إطار الثقافة والتربية العائلية تختلف حسب التراتب الاجتماعي للطبقات ، وكل ذلك يعطي صورة خاصة لوظيفة العائلة وطريقة التعامل بين الآباء والأبناء ، واهم ما يحتاجه الأبناء داخل الأسرة هو الرعاية التربوية الشاملة، وعليه فالمناخ التربوي الأسري الذي يعيش فيه الأبناء في إطار العلاقات الاجتماعية مع أبائهم له تأثير حقيقي في تنشئتهم الاجتماعية.

إلا أننا نستدرك أن الوظيفة التربوية للأسرة تساهم فيها مؤسسات اجتماعية أخرى حسب التطور الاجتماعي الحديث

ومنه « لقد ظلت الأسرة هي المسؤولة وحدها على تربية الأبناء خلال العصور السابقة، إلا أنها في المجتمعات الحديثة لم تعد مسؤولة وحدها على تربية الأبناء، بل ظهرت مؤسسات اجتماعية أخرى استحدثها المجتمع لتقوم أيضا بوظيفة التربية منها المدرسة، وأماكن العابدة والنوادي والجمعيات والمكتبات، إلا انه ورغم كل هذا ظلت الأسرة تمثل اكبر قوة اجتماعية يمكن أن تؤثر في الفرد ، كما تعتبر من أكثر الجماعات الأولية تماسكا ، وذلك يؤدي إلى نمو الألفة والمحبة والشعور بالانتماء بين أعضائها «35

3-2- الوظيفة التعليمية:

بالرغم أن المدرسة والجامعة تمثل المؤسسات التعليمية الرسمية في الأنظمة الحديثة ، إلا انه لا تزال الأسرة كمؤسسة اجتماعية فاعلة تؤثر بطريقة أو أخرى في العملية التعليمية ، فالإشراف والرقابة التي يمارسها الوالدان على أبنائهم أثناء مرحلة التعليم ، وكذلك توفير الوسائل التعليمية في البيت كالإعلام الآلي، والكتب، والمناقشات العلمية التي تدار في البيت خاصة الأسر ذات المستوى التعليمي المرتفع تجعلنا نؤكد على أن الوظيفة التعليمية للأسرة هي وظيفة حقيقية .

يقول الأستاذ محمود حسنين :» على الرغم من انتقال التعليم من المنزل إلى المدرسة، فمازال للأسرة دورها الفعال في هذا المجال، حيث أنها تقوم بالإشراف على متابعة أطفالها في الواجبات المنزلية وفهم الدروس، ويمكن أن تقوم بالإشراف على متابعة أطفالها في الواجبات المنزلية وفهم الدروس، ويمكن أن نقول أن الوالدين هما اللذان يحددا مدى تقدم أو تأخر الطفل في المدرسة، والدليل على ذلك أن الآباء اليوم يقضون وقتا أطول في مساعدة أبنائهم في استذكار دروسهم «.36

إن الاتصال والعلاقات السائدة بين أباء الطلبة (الأولياء) والمدرسة له دور كبير في اكتساب الوعي والتفهم من طرف الأسرة حول مسؤولياتها التعليمية عن أبنائها المتمدرسين، كما أن البنية الاجتماعية السائدة في العلاقات الأسرية تتم في إطار الاتصالات الدائمة يبن الآباء والأبناء، والاتصالات الايجابية داخل الأسرة تساعد على حل المشاكل الاجتماعية مما ينتج عنه مناخا اجتماعيا مستقرا، يساعد الأبناء على التمدرس والتعلم ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان المستوى التعليمي واللغوي للوالدين ينتقل تأثيره من الوالدين إلى أبنائهم عن طريق الاتصالات والمناقشات والمحادثة الأسرية كما أن هذا الاتصال الايجابي للأولياء يحفز أبناء المتمدرسين على المراجعة والمذاكرة والتحصيل الدراسي الجيد.

4-2- الوظيفة الصحية:

الوظيفة الصحية المتعلقة بالتلاميذ يتقاسمها طرفان : المدرسة حيث يوجد في معظم المدارس مصلحة للرعاية الصحية تابعة للمدرسة تضع ملفا صحيا لكل تلميذ ، بهدف المتابعة الصحية الجيدة،ومن جهة أخرى فان الأسرة تتحمل مسؤولية الوظيفة الصحية عن طريق التربية الصحية حيث تغرس في أبنائها عادات وقواعد السلوك الصحي وقاية و علاجا ، ومن جهة أخرى فإنها تتحمل مسؤوليتها في حالة مرض أبنائها .

ومن الوظائف الأساسية التي تعمل الأسرة على تحقيقها الرعاية البيولوجية والنفسية للأبناء ، وكذا العلاج النفسي والبيولوجي للأبناء « وهي تلك تعتبر الأسرة فيها مسؤولة عن إنجاب الأطفال وما يتعلق بذلك من رعاية صحية وجسمية سليمة وتدريب أعضاء الجسم التدريب الصحيح وفي الموعد المناسب، بينما يسهم في النمو السليم للطفل بيولوجيا فالأسرة تعمل بشكل أو آخر على رعاية النفسية للأطفال من اجل حمايتهم وضمانة النمو النفسي الطبيعي للأولاد»37 .

ومنه فان الرعاية الصحية التي يتلقاها الأبناء لا تخص الجانب البيولوجي فقط ، وإنما تتعداه إلى مجال الصحة النفسية ، فالآباء الذين يملكون ثقافة في مجال تربية الأطفال من خلال علم الاجتماع والتربية وعلم النفس هم الأقدر على التكفل بالرعاية النفسية لأبنائهم والتي تنعكس آثارها بعد ذلك على الصحة النفسية للأبناء .

يقول الدكتور محمد يسري إبراهيم دعبس: «التربية الصحية رفع درجة الوعي الصحي للفرد من مختلف الأعمار، من خلال تعليم أفراد المجتمع كيفية حماية أنفسهم من الأمراض والمشكلات الصحية عن طريق مدهم بالمعلومات والحقائق الصحية عن الأمراض والأوبئة المختلفة والعوامل التي تؤدي إلى الإصابة بها ، وكيفية مواجهتها وإجماليا فإن التربية الصحية هي عبارة عن ترسيخ وتأصيل الحقائق والمعارف الصحية وترجمتها إلى أنماط سلوكية صحية سليمة على مستوى الفرد والمجتمع وذلك عن طريق استعمال الأساليب التربوية الحديثة ...».38

انطلاقا مما سبق ذكره ، فان الوظيفة الصحية للأسرة بشقيها النفسي والبيولوجي تظهر آثارها على الأبناء المتمدرسين في نتائج التحصيل الدراسي ،فالطفل الخال من الأمراض وله ثقة بنفسه ، وميول نحو التعلم ، وله صورة ايجابية عن المدرسة تلقاها أثناء التنشئة الاجتماعية هو الأقدر على تحصيل لنتائج دراسية جيدة .

خاتمة :

التحصيل الدراسي للمتمدرسين يعتبر ظاهرة تربوية تؤثر فيها جملة من العوامل أهمها :

1– الصحة : فكلما كان الطلبة يخضعون لعناية صحية كاملة في مجال التغذية والوقاية كلما كانت نتائج تحصيلهم الدراسي جيدة .

2– الوراثة : أثبتت الدراسات العلمية أن الذكاء يورث بيولوجيا وله دور كبير في مجال التحصيل الدراسي .

3– الأسرة : المناخ الاجتماعي الأسري له دور بالغ في التنشئة الاجتماعية التي تنعكس على النمو العقلي للمتمدرسين والذي ينعكس بدوره على التحصيل الدراسي للأبناء .

4– المدرسة : المناخ التربوي والتعليمي في المدارس ينعكس على نتائج التحصيل الدراسي للمتمدرسين .

إن الوظائف الاجتماعية للأسرة (الوظيفة الاقتصادية، الوظيفة التربوية، الوظيفة التعليمية، الوظيفة الصحية) كلها تنعكس في النهاية على نتائج التحصيل الدراسي للأبناء .

الهوامش :

1- مجلة العربي ، العدد 530 ، جانفي 2003 ، ص 206.

2- مجلة العربي، العدد 530، جانفي 2003 ، ص 206.

3- مولاي بودخيلي محمد ، نطق التحفيز المختلفة و علاقتها بالتحصيل الدراسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص 377.

4- عبد الرحمن سيد سليمان، المتفوقون عقليا، مكتبة زهراء الشرق، مصر ، 2004، ص 83.

5- محمد مصطفى احمد ، تطبيقات في مجال الخدمة الاجتماعية، المكتبة الجامعية الحديثة، ط1 ، الإسكندرية،

د.ت.، ص 49.

6- خليل وديع شكور، تأثير الأهل في مستقبل ابنائهم على صعيد التوجيه الدراسي و المهني ، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت، 1997، ص 50-49.

7- Rutter'M and Madge.N ' Cyclesof disavantages-heinemann' london' 1981' p82.

8- Ibid' p81.

9- عبد الرحمن سيد سليمان، المرجع السابق، ص 53.

10- نفس المرجع ، ص 54.

11- فاخر عاقل، علم النفس التربوي، دار العلم للملايين ، بيروت، 1978، ص 286.

12- Crooker 'A.underacheiving 'gifed working boys : are they wrongly la-belled underacheiving .educational studies'1987' p172.

13- محمد خالد طحان ، تربية المتفوقين عقليا في البلاد العربية، المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم، تونس ، 1982، ص 30.

14- عبد الرحمن سيد سليمان، مرجع سابق، ص 54.

15- De cecco 'jp 'the psychologie of learning and instruction ' prentice-hall' new jersey' 1968' p110.

16- Le François G.R ' psychologie of teaching' wadsworth publishing com-pany' California ' 1979' p 251.

17- Conger' JJ' and peterson'AC ' Adolucence and youth . Harper and row ' new york' 1984' p 412.

18- سعيد حسن العزة، تربية الموهوبين و المتفوقين ، الدار العلمية الدولية، الاردن، 2002، ص 23.

19- فتحي عبد الرحمن جروان، أساليب الكشف عن الموهوبين و رعايتهم، دار الفكر للطباعة و النشر ، الأردن، 2002، ص 67.

20- محمد خالد طحان، مرجع سابق ، ص 130.

21- نفس المرجع، ص 130.

22- محمد سلامة محمد غباري، الخدمة الاجتماعية المدرسية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1989، ص 15.

23- Rutter ’m.and madge ’op ’cit ’p 118.

24- خليل وديع شكور، المرجع السابق، ص 71.

25- عبد الرحمن سيد سليمان، المرجع السابق، ص 58.

26- خليل وديع شكور، المرجع السابق، ص 46.

27- Rutter ’m.and madge ’op ’cit ’p124.

28- محمد خالد طحان، المرجع السابق، ص 139.

29- محمد سلامة محمد غباري، المرجع السابق، ص 21.

30- محمد السيد سلطان، مقدمة في التربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 108.

31- Paul Durning ’Jean pierre poutois’ Education et famille’ Wesmoel S.A ’ Bruxelle’ 1994’ p76.

32- محمد يسري إبراهيم دعبس، التربية الاسرية مفهومها،طبيعتها و هدفها، أبعادها، و تحدياتها، الإسكندرية ، 1996، ص 91-90.

33- محمود حسن، رعاية الأسرة ، دار الكتب الجماعية، الإسكندرية ، 1971، ص 64.

34- المرسي منير السرحان، في اجتماعيات التربية، مكتبة الانجلومصرية ، القاهرة، 1973، ص 188.

35- حسن محمود، الأسرة و مشكلاتها، دار المعارف، القاهرة ، 1967، ص 21.

36- سناء الخولي، الأسرة و الحياة العائلية، دار النهضة العربية ، بيروت، د.ت، ص 287.

37- عبد المنعم محمد حسن ، الأسرة و منهجها التربوي لتنشئة الأبناء في عالم متغير، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، د.ت، ص 40.

38- محمد يسري ابراهيم، مرجع سابق، ص 50-49.